مجلة تراث الزيبان المجلد 04/ العدد 2019/01م/ ص ص. 76-102.
E-ISSN: 3088-7763 ISSN: 2716-8468

المسكن التقليدي ببلدة سيدي عقبة القديمة: الخصائص المميزة والمشتركة كنموذج للمسكن الصحراوي التقليدي بمنطقة الزيبان

L'habitat traditionnel de la vieille ville de Sidi Okba : caractéristiques distinctives et communes comme Type de l'habitat traditionnel saharien dans la région des Zibans

ط.د/ منصوري مروة

مخبر LACOMOFA/ قسم الهندسة المعمارية/جامعة محمد خيضر بسكرة.

البريد الالكتروني: mansourimaroua1989@gmail.com

أ. د. بلكحل عز الدين

مخبر LACOMOFA/ قسم الهندسة المعمارية/جامعة محمد خيضر بسكرة.

البريد الالكتروني: a.belakehal@univ-biskra.dz

الملخص:

يعتبر المناخ الصحراوي الجاف النمط السائد بمنطقة الجنوب الجزائري التي تشمل واحات منطقة الزاب الشرقي الحاوية لبلدة سيدي عقبة. ونظرا لقسوته، فللمناخ تأثير على أشكال واستعمالات مختلف مجالات المدن والمباني العامة منها والخاصة. من خلال هذه الدراسة، نسعى إلى التعرف على أوجه الشبه والاختلاف الموجودة بين المسكن التقليدي العقبي، كنموذج من مساكن منطقة الزاب الشرقي، من جهة، والمسكن التقليدي للبعض من القصور كنموذج عن المساكن الصحراوية الجزائرية، من جهة أخرى، واعتمادا على أن تأثير المناخ على المباني له دلالاته فإن المقارنة هذه سوف تسمح لنا بالتوصل إلى أجوبة على التساؤلات التالية: -ما هي المجالات المميزة في تركيبة المسكن التقليدي العقبي والأخرى المشتركة مع أمثاله بقرى المناطق الصحراوية الجزائرية؟ -هل للمسكن التقليدي العقبي والصحراوي تنظيمات وتراكيب شكلية مشتركة تربطهما بالهوية الاجتماعية الثقافية للمنطقة؟ للإجابة على هذه الأسئلة، قمنا باستخدام المنهج التحليلي الوصفي، لدراسة مقارنة بين المجالات المكونة للمسكن التقليدي لبلدة سيدي عقبة، من ناحية، وكذا مكونات المسكن التقليدي الصحراوي لقصر ورقلة، من ناحية أخرى. كما شملت هذه الدراسة تحليل الممارسات الوظيفية للمجالات السكنية. وقد تم استنتاج أن المسكن التقليدي العقبي يتشكل من ثلاث مجموعات مجالية متميزة من حيث الوظيفة والممارسات الاجتماعية. وتتمثل هذه المجموعات في المجالات الخاصة بالسكن، وتربية الماشية والتخزين. بينما يشترك مع سكنات المناطق الصحراوية في أن المبدأ التصميمي القائم على بعض القيم الاجتماعية المتمثلة في حماية حرمة المسكن وفصل المجالات النسوية عن الرجالية، غير أن لكل نموذج طريقته في توفير ذلك.

الكلمات المفتاحية: المسكن التقليدي، سيدي عقبة، تركيبة المسكن، الهوية الاجتماعية الثقافية.

Résumé :

Le climat aride et semi aride est typique à la région sud Algérienne qui comprend les oasis de la région du Zab Chergui dont Sidi Okba est l'un de ses village. En raison de sa dureté, le climat a un impact sur les formes et les utilisations de différentes zones de villes, ainsi sur leurs bâtiments publics et privés. À travers cette étude, nous cherchons à identifier les similitudes et les différences entre l'habitation traditionnelle Okbi, en tant que modèle de l'habitation de la région orientale du Zab, d'une part, et celle de certains Qsar en tant que modèle de l'habitation Saharienne algérienne, d'autre part. Et en fonction de l'impact du climat sur les bâtiments à ses significations, cette comparaison nous permettra d'obtenir des réponses aux questions suivantes: - Quels sont les espaces distinctifs dans la structure de l'habitation traditionnelle Okbi et les espaces communs avec ses homologues dans les villages désertiques algériennes? - Est-ce-que l'habitation traditionnelle Okbi et celle Saharienne ont des structures et des organisations formelles communs qui les liées à l'identité socioculturelle de la région? Pour répondre à ces questions, nous avons utilisé l'approche analytique descriptive pour une étude comparative des espaces constitutives de l'habitation traditionnelle du Beldet Sidi Okba, d'une part, et ainsi les composants de l'habitation traditionnelle Saharienne du certains Qsar de cette zone géographique, d'autre part. L'étude a également analysé les pratiques fonctionnelles des espaces domestiques. Il a été conclu que l'habitation traditionnelle Okbi comprend trois zones des espaces distincts, en termes de fonction et de pratiques sociales. Ces zones regroupent les espaces réservés au logement, à l'élevage et au stockage. Tout en partageant avec les autres habitations traditionnelles Sahariennes le principe de conception qui base sur certains valeurs sociales représentés dans la protection de la vie intime de la maison et la séparation de la domaine féminine de celle masculine, dont chaque modèle à sa propre manière pour la fournit.

Mots clés : l'habitation traditionnelle, Sidi Okba, la structure de l'habitation, l'identité socioculturelle.

من المعروف لدى الباحثين المعماريين أن المناخ يعتبر من بين العناصر المؤثرة على تصميم وتكوين المرافق العمومية وحتى الخاصة لأي تجمع سكاني. فقد كان للمناخ الصحراوي الجاف تأثير على المسكن التقليدي على سبيل المثال والذي شكل واحد من أهم المواضيع للعديد من الدراسات؛ التي كانت تسعى للكشف عن تقنيات توفير الرفاهية الحرارية لقاطنيه، من جهة، وكذا الخصوصية الاجتماعية لفئة النساء من مستخدميه، من جهة أخرى.

إن استخدام مواد محلية كالطوب الطيني في منطقة الجنوب الجزائري أدى إلى خلق تشابه كبير بين عدد من قرى هذه الرقعة الجغرافية والتي تعد بلدة سيدي عقبة التابعة للزاب الشرقي واحدة منها. سنحاول من خلال هذه الدراسة وبالاعتماد على المنهج التحليلي الوصفي المقارن التعرف على المجالات المميزة لتركيبة المسكن التقليدي العقبي، من جهة، والمجالات المشتركة بينه وبين نظائره بقرى المناطق

الصحراوية المتمثلة في قصر ورقلة، من جهة أخرى. كما سنحاول التعرف على تنظيمات وتراكيب شكلية مشتركة بين المسكن التقليدي العقبي والصحراوي والتي تربطهما بالهوية الاجتماعية الثقافية للمنطقة. كما ارتأينا القيام بدراسة مقارنة للرسم البياني المبرر (graphe justifié) لنموذجين ممثلين عن مساكن قصر ورقلة وبلدة سيدي عقبة.

كشفت هذه الدراسة على أن الممارسات المجالية، الوظيفية وحتى الاجتماعية انعكست على المسكن التقليدي العقبي؛ حيث قمنا بتمييز ثلاث مناطق متمايزة فيه من حيث الوظيفة والممارسات الاجتماعية (السكن، تربية الماشية والتخزين)، بينما يشترك مع سكنات قصر ورقلة في نفس المبدأ التصميمي القائم على فصل وتقسيم مجالات المسكن والمستمدة من تأثير القيم الاجتماعية والثقافية لهذه المنطقة الجغرافية، غير أن لكل نموذج أسلوبه في توفير هذه الخصوصية.

1. البلدة، القصر، بين الدلالات والمعاني:

على المستوى المورفولوجي، تقدم المدن التاريخية نفسها وفقا لثلاث أشكال عمرانية متجاورة، يمكن التمييز بينها من خلال تنظيمها، هيكلتها، مبانيها وطبيعة هندستها المعمارية. هذا التقسيم الثلاثي الأفقي هو نتيجة للتطور التاريخي للمدن، حيث يشير كل شكل عمراني منها إلى حقبة تاريخية معينة. يمكن التمييز بين:

–القصر: النواة القديمة أو المركز التاريخي. وهو عبارة عن نسيج ذو درجة عالية من المورفولوجية، المتكون أساسا من: التحصينات ما يكسبه شكل القلعة، التنظيم الناتج عن شبكة من الشوارع والممرات المتعرجة وكذا الإشراف على واحات النخيل.

–القرية (أو مدينة أوائل القرن العشرين) تتوافق مع الفترة الاستعمارية. عادة ما تكون على شكل شبكة متعامدة، مع واجهة عمرانية لمباني ذات طراز معماري مخالف لما هو مستعمل في القصر.

–القسم الجديد، هو نتيجة لمختلف مخططات التنمية لفترة الاستقلال والفترات المعاصرة، تكون عادة على شكل أحياء سكنية ومؤسسات. تشكل هذه التوسعات أنسجة عمرانية محيطة[1].

يمكن تعريف القصر حسب Marc Cote بأنه "عبارة عن مجموعة من السكنات، وهو عبارة عن شكل مبني. لكنه أيضا عبارة عن مجموعة اجتماعية، سكان، التي تملك تاريخ ومكونات"[2].

القصر هو كلمة مستمدة من اللغة العربية تطلق على ما هو قصير ومحدود، وهو ما يعني مساحة محدودة، لا يمكن الوصول إليها إلا لفئة معينة من الفئات الاجتماعية. القصر هو مجال مقفل ومتحفظ، يقتصر على استخدام البعض. القصر وجمعه قصور هو مخزن الغلال بل مجموعة من المخازن المتراصة[3].

---

[1]- HAOUI BENSAADA, S., 2010.

[2]- «Le ksar est un groupement d'habitat, une forme construite. Mais c'est aussi un ensemble social, une population, qui a son histoire et ses composantes». D'après : COTE, M., 2012.

[3]- AMEUR DJERADI, M., 2012-2013.

ترى الباحثة سميرة حوي بنسعادة أن القصور اليوم توجد على ثلاث أشكال: 1) قصور في حالة أنقاض، معزولة ومهجورة تماما، 2) قصور مهجورة تماما بالقرب من قرية مأهولة وهو حالة قصر خنقة سيدي ناجي، 3) قصور مأهولة جزئيا، تشكل مكون عمراني لمدينة صحراوية، حالة قصر ورقلة وتيميمون، وأدرار وسيدي عقبة.

تتميز القصور بسكناتها التقليدية الأصلية، وهو ما يعبر عنه باستخدام مواد بناء محلية، اعتماد أشكال تتوافق مع الثقافة الاجتماعية للمنطقة، الاستخدام الرشيد للمساحات، والوظيفة، دور وفائدة كل بناء... وهو ما تشترك فيه جميع القصور الصحراوية الجزائرية، لذا سنحاول في هذه الورقة البحثية القيام بدراسة مقارنة بين المساكن التقليدية لقصرين من القصور الصحراوية التي تعد مأهولة جزئيا وتشكل أحد المكونات العمرانية لمدن هذا الإقليم الجغرافي، وهما: بلدة سيدي عقبة كنموذج عن المسكن التقليدي الصحراوي بمنطقة الزاب الشرقي، وقصر ورقلة كنموذج عن المسكن التقليدي الصحراوي الجزائري. تعكس الجدران الخارجية الصمام التي تتخللها بعض الفتحات الصغيرة للتهوية لهذين النموذجين الطبيعة المحافظة لقاطنيه وللمجتمع الجزائري الصحراوي، والتي تحتضن تركيبة داخلية مكونة من العديد من الغرف والمجالات الموزعة حول فناء مركزي[4].

2. عرض تقديمي لنموذجي الدراسة: قصر ورقلة وبلدة سيدي عقبة:

1.2.قصر ورقلة:

يُعرف بلا شك قصر ورقلة، المسمى بورجلان (في اللغة الإباضية)، أو ورجلين (لدى البربر)، بأنه الأكثر تأصلا في تاريخ الصحراء. تقوم على حمايته سبعة أبواب عتيقة، هي: باب عمور، وباب عمي، وباب بوشاك، وباب البستان، وباب الخوخة (رابعة)، وباب عزي وباب الرابية وهي التي تضمن الدخول إلى القصر القديم عبر ممرات متعرجة (**الصورة 01**). مثله مثل جميع القصور، يعد قصر ورقلة جزءا من مجمع معقد يجمع بين أنظمة الري وبساتين النخيل[5]. تقع هذه الأبواب ضمن سور المدينة والتي يرجع تاريخ تأسيسه إلى بداية القرن الثالث عشر، ويضم 40 حصن، كل حصن مكون من طابقين. يطل كل باب من هذه الأبواب على الطريق الذي يربط ورقلة بالمدينة الأقرب إليها (غرداية، وانقوسة، والقولية). تتمتع المدينة أيضا بحماية خندق مواز لجدارها المحيط. يضم القصر ثلاث مساجد وشبكة طرق متفرعة وكثيفة تصطف على جانبيها



الصورة 01: تمثل قصر ورقلة من الجو. عن: BOUCHEMAL, M. ; CHAOUCHE, S., 2015.

[4]- HAMMOUDI, A., 2014.

[5]- RAYANE KADRI, S. ; CHAOUCHE, S. ; BENAMEUR, A. H., 2016, pp. 131-152.

منازل تشد بعضها بعضا. في معظم الأحيان، وعلى مفترق طرق تتسع هذه الشوارع فجأة لتشكل ساحة تسمى "الجمعية" والتي يبلغ عددها في الإجمال 12، وأربع جمعيات لكل حي (حي بني سيسين، وحي بني براهيم وحي بني واجين)[6]. مع الإشارة إلى وجود ساحتين كبيرتين، إحداهما مفتوحة على السوق[7]. مخطط قصر ورقلة الأصلي ليس دائريا ولا مركزيا، على الرغم من أن ساحة السوق تقع بوسطه؛ في نقطة التقاء الشوارع الرئيسية للقصر، والتي تأخذ شكلا مربعا محاطا بالمنازل التي تضم محلات السوق.

يعتبر حي بني براهيم الأكثر اتساعا وتعقيدا، كون المنشات والمؤسسات الكبرى تقع ضمن نطاقه: السوق القديم، والمسجدين الكبيرين لالة مالكية (المذهب المالكي) ولالة عزى (المذهب الاباضي) بالإضافة إلى مسجد أبو زكريا. في حين أن حي بني واجين هو الوحيد الذي يضم حدائق كبيرة، بينما يبدو حي بني سيسين الأقل تنظيما حيث تم اقتطاعه سنة 1872م، وهو ينتظم بين شارعين رئيسيين متوازيين[8] **(الصورة 02)**.

باختصار، يتكون القصر في الصحراء أساسا من أربعة عناصر أساسية وهي المسجد والمنازل والطرقات والسوق بالإضافة إلى الواحة التي تكون محاذية للقصر وتقع خلف السور[9].



الصورة 02: تمثل خريطة توضح العناصر المورفولوجية المكونة لقصر ورقلة. عن: RAYANE KADRI, S. ; CHAOUCHE, S. ; BENAMEUR, A. H., 2016.

يعتبر قصر ورقلة جزءا من مجموعة من القصور المحصنة الموجودة على وادي مية، والتي تحيط بها بساتين النخيل وتمتد إلى غاية السبخة، تتمثل هذه المجموعة في كل من قصر ورقلة، ونقوسة، والشط وعجاجة. تم تشييد هذا القصر حوالي القرن العاشر الميلادي وهو ما مثل المرحلة الأولى لتطور مدينة ورقلة، غير أن الحديث عن تاريخ محدد لتأسيسه يبقى مجرد فرضيات لجغرافيين ومؤرخين يثبتون وجود ورقلة منذ فترة طويلة جدا، تعود لفترة ما قبل العصور الرومانية القديمة، وذلك بالاعتماد على وجود العديد

---

[6]- Ibid.

[7]- BOUCHEMAL, M. ; CHAOUCHE, S., 2015.

[8]- RAYANE KADRI, S. ; CHAOUCHE, S. ; BENAMEUR, A. H., 2016.

[9]- بوجراف، بلال؛ خليفة، عبد القادر، 2018م، ص ص. 173-186.

من العملات المعدنية الرومانية في المنطقة، بالإضافة إلى وجود طريق قديمة تربط ورقلة بتونس، كل ذلك دفع الباحثين بالاعتقاد بوجود ورقلة خلال هذا العهد إما بشكل مباشر من خلال وجود تجمع سكاني قائم بحد ذاته أو بشكل غير مباشر عن طريق المبادلات التجارية، رغم عدم وجود نصوص رومانية تقر بذلك. يرجع الاعتقاد أيضا بقدم ورقلة إلى الزخارف التقليدية الموجودة على أبواب منازل القصر. حتى بعد الفتح الإسلامي، لم يولي المؤرخون العرب اهتماما بمنطقة ورقلة قبل القرن الحادي عشر الميلادي، إلا أنه من أوائل من تكلم عن نشأت وتطور هذه المدينة ابن خلدون خلال القرن الرابع عشر الميلادي، والذي أرجع تأسيسها إلى استقرار قبيلة بني ورقلة واحدة من أكبر القبائل البربرية سليلة فريني ابن جنى، والذين قاموا بتأسيس هذه المدينة والتي تقع جنوب بسكرة على بعد ثمانية أيام منها وتحمل اليوم اسمها، لكن لم يحدد ابن خلدون تاريخ تأسيسها بالضبط[10] .

2.2.بلدة سيدي عقبة:

تتميز نشأة مدن المغرب العربي عن مثيلاتها بالمشرق بأنها لم تقم إلا نادرا على بقايا مدن قديمة. فقد كان اعتمادها أساساً على ما أتى به الفاتحون العرب وكذا الخصائص المحلية البربرية. تشترك أغلب مدن المغرب والمشرق العربي في كون نواتها الأولى ذات طابع ديني (وجود ضريح أو مسجد)، غير أن مدن المغرب تتميز بتسمياتها والتي ترجع إلى مؤسسها أو إلى المؤسس من اجله، لذا نجد أن أغلب التجمعات المغاربية تبدأ بكلمة "سيدي" وهو أمر نادر الحدوث في مدن المشرق[11]، وهو ما ينطبق على البلدة موضوع الدراسة الممثلة لإحدى قرى منطقة الزيبان والمتمثلة في بلدة سيدي عقبة نسبة لاحتضانها لضريح فاتح شمال إفريقيا عقبة بن نافع الفهري، رغم وجود بعض دراسات المستشرقين وعلى رأسها دراسة هنري سيمون تحت عنوان "نقاط حول ضريح سيدي عقبة"، والتي تسعى إلى التشكيك في حقيقة وجود جثمان الفاتح بهذا الموقع[12]. وهو الأمر الذي حاول الباحث بلكحل عز الدين وعدد من الباحثين دحضه من خلال أهم الدراسات التاريخية والمعلومات المحلية المكتوبة والمروية، وبالاعتماد على الحقائق التي أدلت بها الحفريات الضخمة أثناء إنجاز المركب الثقافي الإسلامي بجوار المسجد العتيق للبلدة، وكذا من خلال تتبع مسار الفاتح خلال حملته الثانية على شمال افريقيا، والتي جرت في المناطق الداخلية للمغرب التي لم يطرقها قبله الفاتحون، وذلك بالرجوع إلى النصوص المكتوبة حول الفتح الإسلامي ومقارنتها مع شبكة الطرق الرومانية التي كانت تغطي المنطقة في ذلك الزمان، قصد إثبات موقع معركة تهودة الشهيرة والتي سقط على إثرها الفاتح وعدد من رفقائه شهداء[13] **(الصورة 03)**.

---

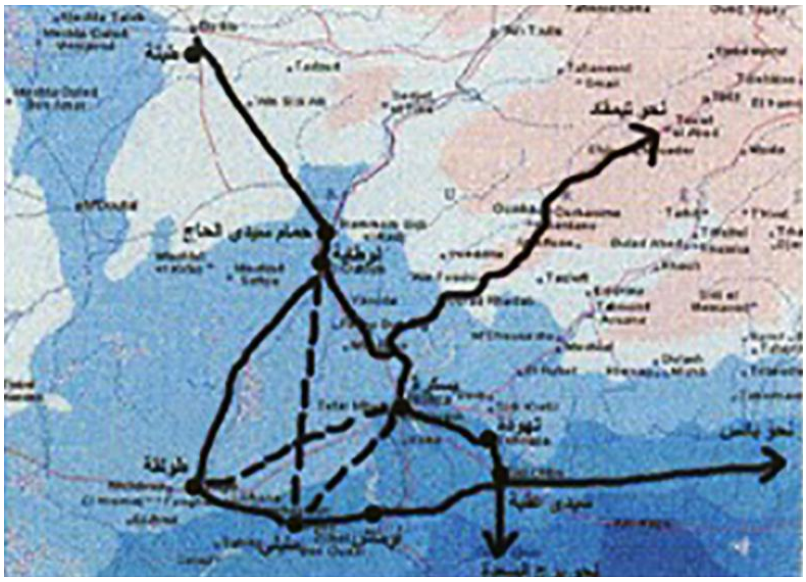
[10]- SAAD SAOUD, W., 2013.

[11]- بلكحل عز الدين وآخرون، 2003م.

[12]- SIMON, H., 1909, pp. 26-45.

[13]- من المحتمل أن عند افتراق جيش عقبة بن نافع الفهري بمنطقة طبنة، قد سلك وهو وما يقارب الثلاثمائة من رفقائه المسلك المعروف بممر الثنية الوسطى والذي يصب في بلاد الضاية ويربط طبنة بمنطقة الزاب (طريق الصحراء)، ومن ثم اتجهوا إلى طولقة عبر بلاد السلقة أين قام بفتحها وتحويل كنيستها البيزنطية إلى مسجد، ومن طولقة إلى تهودة عبر مليلي

على الرغم من التكوين العمراني لسيدي عقبة المشابه لأي قصر من القصور الصحراوية (المسجد، والسوق، وشبكة الطرقات، والمنازل بالإضافة إلى الواحات الخارجية)، ونتيجة لتسميتها في العديد من النصوص التاريخية بالبلدة، فقد تداول إطلاق هذه التسمية على النواة القديمة للقرية في إشارة منهم إلى التجمع السكاني الأولي لها، والذي عرف تذبذبا وانقطاعا في حركة تعميره نتيجة لقلة المياه بالمنطقة، ما استلزم إنشاء قناة تأتي بالمياه من جوف جبال الأوراس التي تقع البلدة جنوبها على مقربة منها.



الصورة 03: تمثل خريطة المسالك الرومانية بالمنطقة، والطريق الذي سلكه عقبة بن نافع من طبنة إلى تهودة وتوافقه مع موقع ضريحه الحالي. عن: بلكحل عز الدين وآخرون، 2003م.

على الرغم من عدم وجود نص تاريخي صريح بتأسيس البلدة، إلا انه ومن خلال تحليل ومقارنة النصوص التاريخية للرحالة العرب الذين مروا بالمنطقة، يستطيع الباحث إرجاع تاريخ نشأتها إلى القرن الرابع عشر الميلادي بالاعتماد على نص ابن خلدون الذي أشار إلى وجود مسجد شيد حول ضريح الفاتح؛ يحمل اسمه، كما أشاد بقيمة هذا البناء كمزار، دون تقديم أي وصف لمدينة أو لتجمع سكاني حوله[14]. غير أن هذا النص يدل على بدايات إعمار البلدة، فالمسجد يقام لأهل التجمع وللزوار الذين يقصدونه. وقد سبقه البكري في القرن الحادي عشر الميلادي والذي يعد أول من تكلم عن ضريح عقبة بن نافع بالقرب من تهودة دون الإشارة إلى أي تجمع سكاني أو لأي مسجد[15]. غير أنه ولقلة المياه بالمنطقة كما ذكرنا سابقا، عرف إعمار البلدة تذبذبا، والذي لم يستقر إلا بحلول القرن السابع عشر الميلادي من خلال نص العياشي الذي تكلم فيه عن جمال وكبر البلدة، أين أبدى انبهاره بطول وفرط

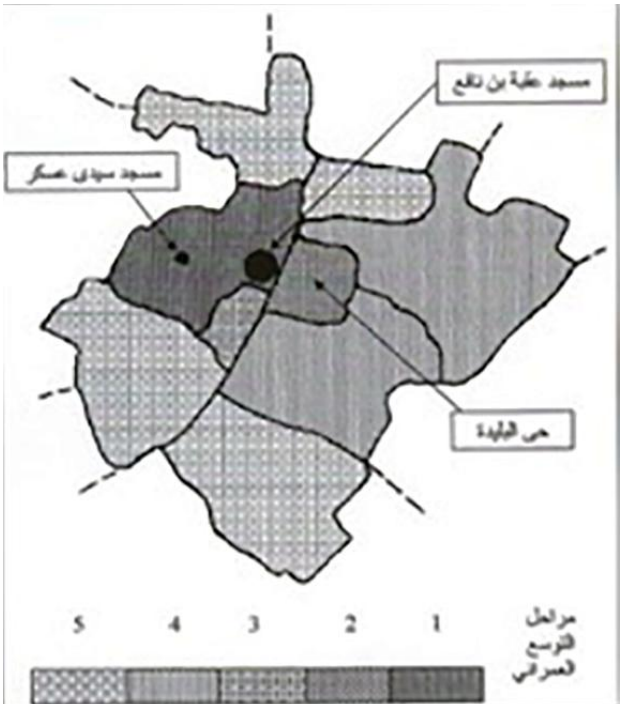
مرورا بالمسلك المعروف بطريق أوماش الرابط بينها وبين قرية سيدي عقبة. إذا تتبع الفاتح هذا المسار، من الطبيعي أن يكون موقع جيشه جنوب تهودة وهو ما يتوافق مع موقع ضريحه الحالي. وقد أثبت علماء الآثار والمؤرخون وجود هذا المسلك في الاتجاه الجنوب الشرقي لطبنة نحو وادي القنطرة والذي يعبر ضاحية الضاية ليتلاقي مع مسلك سبع مقاطع وهو ما يربط لمباز بالصحراء. وإذا تتبعنا هذا المسلك على خريطة شبكة الطرق الرومانية بإفريقيا سنجده يعبر طولقة المرتبطة بمليلي بطريق يصل إلى تهودة عبر طريق مذكورة ومحددة المسافة في لائحة بوتينجر.

[14]- BARON DE SLANE, 1978.

[15]- AL-BAKRI, 1889.

إتقان بناء مئذنة المسجد[16]. أما وصف الورثيلاني للبلدة خلال القرن الثامن عشر الميلادي فيعتبر من أكثر الأوصاف التي قدمت تفاصيل دقيقة حول البلدة التي زارها سنة 1765م، أين ذكر ربط البلدة بقناة تجلب إليها المياه من جوف الأوراس[17].

أما عن مراحل التوسع العمراني للبلدة فلدى عامة السكان رواية يتخللها الكثير من النقص وهي ذاتها التي وردت عن جورج مارسي، بأن أول من استقر لجوار الضريح هو عائلة زايري (الزوار)، تلاهم أهل المسيد، ثم الشرفة المنحدرين من نسل الرسول عليه الصلاة والسلام[18].



الصورة 04: تمثل مراحل التوسع العمراني لبلدة سيدي عقبة حسب الرواية المتداولة لدى السكان. عن: بلكحل عز الدين وآخرون، 2003م.

قامت المجموعة الأولى القادمة من ضاحية وادي ريغ ولمنحدرة من عشيرة أولاد مولات بإقامة الضريح حول القبر ثم بناء المسجد ومساكنهم بالقرب منه في حارة البليدة، أما أهل المسيد المنقسمون إلى أولاد العربي ذو الأصل الإباضي بوادي ميزاب وأولاد صالح من شمال-شرق الجزائر بمنطقة سوق أهراس، فقد أقاموا أحياءا تحمل أسماءهم: حارة أولاد العربي وحارة أولاد صالح، ثم الشرفاء الذي سكنوا بجوار المسجد في الحي المعروف بسيدي عسكر نسبة لوجود ضريح عسكر بن حسان الفهري، ثم سكنت البلدة عشائر وعائلات في الحي المعروف بالبرانة (البرانية، الغرباء). دون الإشارة إلى أولاد طاهر الذين سكنوا إحدى أحياء البلدة المعروفة وحارة سيدي التومي ومن سكنها وغيرها. وقد قام بلكحل رفقة عدد من الباحثين برسم خريطة وضح فيها مراحل توسع البلدة وفقا للرواية المتداولة. **(الصورة 04)**

للتوصل إلى تصحيح مرحلية التوسع العمراني للبلدة، قام الباحث بلكحل ومن معه، من خلال دراسة المراجع المكتوبة وتحليل ما جاء فيها وفقا لتواريخها واستخراج ما هو موجود بالمخطوطات القديمة وأيضا استغلال اكتشافات الحفريات الميدانية التي كشف عن وجود هيكلة مغايرة لحي سيدي عسكر لما عرفه السكان وعن تساوي مستوى أرضية ضريحه وضريح سيدي عقبة، ما يدل أن أول حي تم تشييده بالبلدة هو الذي سكنه الشرفاء. وللتوصل إلى مراحل التوسع العمراني للبلدة وربطها بتواريخ زمنية، قمنا في

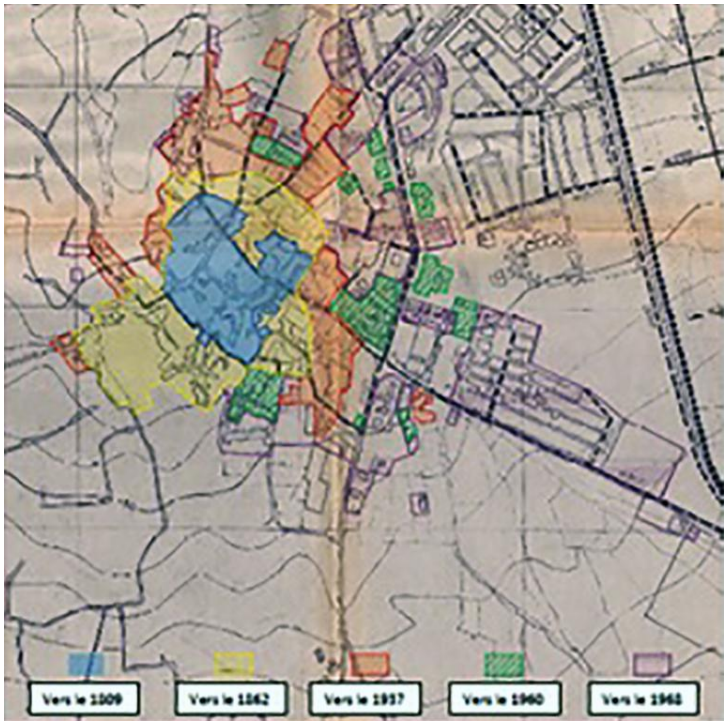
---

[16]- أبو سالم العياشي، 2006م.

[17]- الورثيلاني، 1974م.

[18]- MARÇAIS, G., 1957, pp. 151-159.

دراسة بعنوان "دراسة مونوغرافية عمرانية ومعمارية لبلدة سيدي عقبة القديمة" بمقارنة ومطابقة عدد من الخرائط المتوفرة لدينا والتي أسفرت عن الخريطة التالية[19] **(الصورة 05)**.



الصورة 05: تمثل خريطة مراحل التوسع العمراني لبلدة سيدي عقبة.
عن: MANSOURI, M., 2016-2017,.

3. مقارنة المسكن التقليدي العقبي بالمساكن التقليدية القصورية الصحراوية:

قام الباحث بلال بوجراف بتقسيم الهيكلة الداخلية للمسكن بقصر ورقلة إلى مجموعة من المجالات والتي حصرها في: المدخل (العتبة)، والسقيفة، والرحبة وسط الدار، والمطبخ، والمخزن، والسلم السطح، والكنيف، وبيت الشياه (الزريبة)[20]، وهي تقريبا نفس المجالات المكونة للمسكن التقليدي العقبي، غير أنها قد تختلف من حيث الموقع بالنسبة للتركيبة المورفولوجية للمسكن بين النموذجين العقبي والورقلي، كما قد تختلف من حيث الخصائص والعدد. لذا سنحاول القيام بدراسة تحليلية مقارنة بين النموذجين بالاعتماد أساسا على دراستين: "المسكن القصوري الورقلي" للباحث ياسين قادي و"دراسة مونوغرافية عمرانية ومعمارية لبلدة سيدي عقبة القديمة" للباحثة منصوري مروة والتي تناولت فيها دراسة لثلاثون مسكن تقليدي من هذه البلدة. للقيام بهذه الدراسة المقارنة قمنا بتقسيمها إلى قسمين؛ يتناول القسم الأول مناقشة للعناصر المعمارية والمجالية المكونة للمسكن التقليدي بكلا القصرين أوجه الشبه والاختلاف، أما القسم الثاني فقد خصص لمقارنة الرسم البياني المبرر لنموذجين من كلا القصرين.

1.3. مناقشة العناصر المعمارية:

1.1.3. الباب:

حسب الباحث ياسين قادي، ما يميز المساكن التقليدية لقصر ورقلة هو وجود مدخلين: المدخل الرئيسي يؤدي إلى الطابق العلوي من الشارع وهو مخصص لاستقبال الضيوف



الصورة 06: باب رئيسي لمسكن تقليدي عقبي ذو مصراعين. عن: الباحثة.

[19]- MANSOURI, M., 2016-2017.
[20]– بوجراف، بلال؛ خليفة، عبد القادر، 2018م.

من الرجال، فهو عبارة عن باب لحجرة صغيرة في داخلها أدراج تؤدي إلى قاعة استقبال الضيوف، هذه الأدراج المستقلة عن وسط الدار تجعل حركة الرجال ممكنة من الطابق الأول إلى الخارج مباشرة دون إحراج من بداخل الدار.[21] أما الباب العائلي الرئيسي فهو عبارة عن بوابة عادة ما تكون مصنوعة من جذوع النخيل يكون اتجاه فتحها نحو الداخل. يتميز هذا الباب بإطاره والذي يكون على: شكل قوس (نصف دائري)، وأبواب بدون قوس (إطار مستطيل) (**الصورة 06**).

من ناحية أخرى، يتميز المسكن التقليدي العقبي بوجود باب واحد في السكنات ذات المساحة الصغيرة، وفي بعض الحالات قد يشتمل المسكن على بابين أو ثلاث: باب الدار وهي البوابة الرئيسية التي تؤدي إلى السقيفة وقد يكون ذو مصراع أو مصراعين وذلك وفقا لكبر المسكن، وباب الجنان يؤدي إلى الحديقة من الشارع مباشرة أين توجد في الغالب بيت الضيوف المخصصة لاستقبل الرجال، يوجد هذا الباب عادة في المساكن المتوسطة والكبيرة والتي تشتمل على حديقة. قد يوجد في هذه المساكن بالإضافة إلى باب الدار باب الكوري (باب الإسطبل) وهو باب خلفي أو جانبي يربط هذا المجال مباشرة بالشارع وهو مخصص لإدخال وإخراج الدواب، العلف، والغبار (السماد العضوي). الإطار المحيط بهذه الأبواب يكون ذو شكل مستطيل، لا يختلف اتجاه فتحها عن المسكن الورقلي (**الصورة 07**).



الصورة 07: يمثل رسم يدوي لبعض الأبواب بقصر ورقلة. عن: KADI, Y., 1999.

العتبة:

عتبة مدخل المنزل التقليدي الورقلي يبلغ ارتفاعها 10 سم، حيث تقيه من دخول الأتربة وخروج الهواء البارد أيام الحر الشديد، حيث يبقى باب المنزل عادة مفتوح طوال النهار إلا أن المارة في الشارع لا يستطيعون مع ذلك رؤية ما بداخل الدار. توضح اختلاف المستوى بين الداخل والخارج وتعتبر كحد فاصل بين المجال الخاص والعمومي الذي يتحقق بمفهوم الحرمة[22]. نفس الأمر الموجود في مساكن بلدة سيدي عقبة غير أنها قد لا توجد في بعضها. (**الصورة 08**)

[21]- نفسه.

[22]- نفسه.



الصورة 08: يمثل العتبة في النموذجين: **أ.** العقبي، و**ب.** الورقلي. عن: الباحثة.

2.1.3. الروزنة:

على سطح المسكن التقليدي الورقلي، نجد الجزء العلوي لفتحة وسط الدار محاطة بحافة يبلغ ارتفاعها حوالي ثلاثون سنتيمتر. تتم تغطيتها أفقيا بشبكة معدنية تمثل دعامة تستخدم عندما يراد تغطيتها للحماية من الحرارة الشديدة أو من سطوع أشعة الشمس خلال الصيف. وكذا لحماية وسط الدار من تسرب مياه الأمطار المحتملة وإن كانت قليلة[23]. تلعب هذه الفتحة نفس الدور في المسكن التقليدي العقبي، غير أنها تكون بأبعاد أصغر وبحواف أقل ارتفاعا لا تتجاوز 15 سم (**الصورة 09**).





[23]- 999, pp. 49-74.





2.3. مناقشة العناصر المجالية

1.2.3. السقيفة

تمثل السقيفة في المسكن التقليدي الورقلي مجال محول يعمل على ترشيح الحركة بين الداخل والخارج. تقع بين باب المدخل الرئيسي ووسط الدار، بها مقعد حجري منخفض يستعمل للجلوس أمام المنسج في الصيف وآلة رحي الحبوب في إحدى زواياها. تستخدم للاستقبال، لاجتماع النسوة، وكذلك لاجتماع جميع أفراد الأسرة في فصل الصيف بسبب موقعها الذي يحميها من حرارة وضوء الشمس. التدفق الكبير لتيارات الهواء يسمح بالطهي فيها خلال فصل الشتاء دون الحاجة لفتحة تهوية. يصطدم نظر المار في الشارع عند محاولة استراق النظر إلى داخل السقيفة بجدار منخفض يمتد على طول فتحة باب الدار[24].

بالنسبة للمسكن التقليدي العقبي تعتبر السقيفة أيضا المجال الرابط بين الشارع ووسط الدار. أما عن الأنشطة الممارسة فيها فهي لا تختلف كثيرا عن المسكن الورقلي غير أن الطبخ، النسيج ورحي الحبوب هي من النشاطات الممارسة في وسط الدار. توجد بعض السكنات بالبلدة تضم أكثر من سقيفة وذلك وفقا لمساحتها، عادة ما تتضمن السقيفة الثانية ما يعرف بـ"الدكانة" وهو عبارة عن مقعد مبني مفروش مخصص لاستقبال الضيوف من الرجال. يحد جانبي السقيفة في المسكن العقبي الكوري (الزريبة) وعلى الجنب المقابل بيت التبن أو بيت الضياف (**الصورة 10**).

[24]- نفسه.




الصورة 10: يمثل السقيفة في أحد مساكن بلدة سيدي عقبة على شكل L، توزع الحركة من الشارع إلى وسط الدار والكوري. عن: الباحثة.

2.2.3. المطبخ "الكوزينة":

في المسكن الورقلي وقبل عتبة وسط الدار، يوجد جدار ثان منخفض على اليسار يخفي الجزء المنخفض للسقيفة المخصص للطبخ في الشتاء. بالإضافة لإعداد الطعام يعتبر مكان التدفئة وتناول الوجبات بالنسبة لفئة النساء والأطفال. وهو عبارة عن مطبخ بدائي مكون من حفرة صغيرة بها ثلاث أحجار يوضع عليها القدر، كما يتم تعليق جميع المعدات التي تساعد ربات البيت في عملية الطبخ على ارتفاع منخفض من الجدار بخطافات خشبية وفي بعض الأحيان قد توضع أرضا[25].

بالنسبة للمسكن التقليدي العقبي غالبا ما يتم تخصيص المساحة التي تقع أسفل الدرج للمطبخ الشتوي في السكنات المتوسطة. أما في السكنات الواسعة يتم تهيئة الغرفة المجاورة للدرج لهذا الغرض، وذلك حتى يتم ربطها ببيت المونة والتي عادة ما تشغل المجال أسفله. تتم تهيئة المطبخ بخزانة حائطية صغيرة أو أكثر تأخذ شكل المشكاة، كما يتم تزويده بالعديد من المواثيق المعدنية المخصصة لتعليق الأواني ومستلزمات الطبخ التي تحتاجها ربات البيوت في هذه العملية.

3.2.3. وسط الدار:

يعرف وسط الدار « Ammisiddar » في المسكن التقليدي الورقلي بـ "الرحبة" وهي مجال يتوسط المسكن لها خصوصية تهويته وإنارته كما يعتبر مكان لمختلف الأنشطة التي تقوم بها ربات البيوت[26]. تتم تغطيته جزئيا حيث يضم الروزنة التي سبق التطرق إليها، ما يتيح لمستخدميه من القيام بالعديد من

---

[25]- نفسه.

[26]- بوجراف، بلال؛ خليفة، عبد القادر، 2018م.

الأنشطة بين الحرارة والرطوبة، الظل والضوء. يتم فصل وسط الدار عن السقيفة بواسطة ما يعرف بـ tahzza (هي الجزء المغطى منه والموجود على مستوى واحد مع السقيفة) وهي مكان مخصص للطبخ في فصل الربيع والخريف. في الجنب المقابل لها يوجد الجزء الثاني المغطى والمسمى بـ slam، يضم الرواق المعمد والذي يكون مرتفع عن مستوى الساحة الداخلية بدرجة، حيث يتم فيه استقبال الضيوف المقربين وعادة ما يتم فرشه بحصيرة.

في حين أن وسط الدار في المسكن العقبي هو ذلك المجال الداخلي المركزي، الذي يتم الولوج إليه عبر المرور بالسقيفة، يكون محاطا بالغرف، بالمطبخ وبالدرج. تتم تغطية أرضيته مثل باقي مجالات المسكن بالطين المرصوص والذي عادة ما يتم رشه بالماء خاصة في فصل الصيف ما يكسبه برودة ورطوبة. تمارس مختلف النشاطات الأسرية في هذا المجال: الطبخ، استقبال الضيوف المقربين، القيلولة في فصل الربيع، تجمع أفراد الأسرة، النسيج، طحن الحبوب، فرز التمور... يرفع سقفه بأعمدة من جذوع النخيل؛ تعرف محليا بـ"الوقاف"، يختلف عددها وتنظيمها باختلاف مساحته وأبعاده، فقد يسند السقف على عمود، عمودين، ثلاث، أربع أو ست أعمدة تنتظم على شكل I، L أو O. يتم تهويته وإنارته بواسطة الروزنة مثل المسكن الورقلي والتي تختلف أبعادها باختلاف أبعاده (**الصورة 11**).



الصورة 11: يمثل وسط الدار بمساكن ببلدة سيدي عقبة. عن: الباحثة.

4.2.3. المرحاض أو لكنيف:

يقع في الجزء المغطى لوسط الدار للمسكن الورقلي يتم فصله بواسطة حائط منخفض، يشمل الحفرة، ثقب الحفرة التي تقع في زاوية هذا الجزء. بمجرد امتلاء الحفرة يتم تفريغها من طرف عاملين متخصصين وتجفيف الفضلات المستخرجة لاستخدامها كسماد لبساتين النخيل. في السكنات الصغيرة تتم عملية تفريغ هذه من الشارع.

في حين أن المرحاض التقليدي للمسكن العقبي والمعروف بـ "لكنيف" لا يوجد سوى في السكنات الواسعة والتي تعود ملكيتها لأفراد ميسوري الحال. يتكون من مجالين أحدهما في الطابق الأرضي والأخر في الطابق العلوي؛ يمثل المجال الأول الحفرة في المسكن الورقلي والمخصص لتجميع الفضلات، عادة ما تكون له فتحة تفريغ يمكن الوصول إليها من حديقة المسكن نفسه أو من حديقة المنزل المجاور، يتم تفريغ هذه الغرفة دوريا، في حين أن المجال العلوي يمثل مكان الراحة للمستخدم، وهو عبارة عن مجال صغير

عادة ما يكون ذو شكل مستطيل يقع خلف جدار فاصل يحوي ثقب يمد على حجرة التجميع السفلية، في بعض الحالات قد يقع هذا المجال فوق الزريبة والتي تمثل هنا دور غرفة التجميع.

5.2.3. الكوري (الزريبة): (الصورة 12)

يسمى في المسكن الورقلي ببيت الشياه أو الزريبة وهو فضاء مخصص لتربية الغنم ولربط البغل، يكون محاذي للكنيف حتى تسهل عملية جمع الفضلات وإخراجها. عادة ما يكون مزود بمعلف مملوء بالقش أو الشعير. في حين أن الكوري في المسكن العقبي يقع في السكنات متوسطة في القسم الأمامي بجوار السقيفة، وهو عبارة عن مجال مفتوح تتم تغطية جزء منه حتى تلجأ الحيوانات لهذا الركن في



الصورة 12: يمثل كوري له مدخل مباشر من الشارع ومدخل ثاني على الدار عبر السقيفة. عن: الباحثة.

حالة تغيرات الطقس. قد يضم مدخل منفصل مباشر من الشارع ومدخل عبر السقيفة. عادة ما يتم تخصيص الغرفة المقابلة له لتخزين القش والعلف والتي تعرف باسم "بيت التبن". في الحالات التي يكون فيها من ضمن التركيبة المجالية للمسكن جنان فالكوري يقع ضمنه بالإضافة إلى غرفة أخرى مخصصة لتخزين التبن والعلف.

6.2.3. الغرف (البيوت): (الصورة 13)

غرفة الجدة: على يسار "tahza" تقع الغرفة الأولى للمسكن التقليدي الورقلي والتي تشغلها عادة الجدة.

غرف الأطفال، غرفة الوالدين: تقع هذه الغرف حول الجزء المغطى المسمى بـ "Slam"، حيث نميز من اليمين إلى اليسار باقي مجالات القسم الخلفي للمسكن الورقلي والتي تأخذ نفس مستوى أرضيته. يتعلق الأمر أولا بغرفة الأطفال الأولى والملاصقة للمخزن والمخصص لتخزين المؤونة ولأغراض أخرى، الذي يتوسطها والغرفة الثالثة المخصصة لصاحب المسكن، تحتوي هذه الأخيرة على رفوف صغيرة مخصصة لوضع الأغراض الشخصية. غرفة الأطفال الثانية تقع على امتداد مع غرفة الوالدين. عادة ما يتم استخدام هذه الغرف كغرف نوم ونادرا ما يتم استخدامها نهارا. تضم معظمها نوافذ صغيرة مطلة على وسط الدار، ما يضمن لها القليل من الإضاءة والتهوية الطبيعية، يتراوح عرضها بين 2 و3م وذلك حسب طول جذوع النخيل المستخدمة في تغطيتها، في حين يتراوح طولها بين 3 و5م وقد تصل إلى 6 أمتار وذلك حسب أبعاد الأرضية التي شيد عليها المسكن.







الصورة 13: يمثل غرف من مساكن ببلدة سيدي عقبة. عن: الباحثة.

في حين تتوزع الغرف في المسكن العقبي على جانبين، ثلاث وحتى أربع جوانب حول وسط الدار مشكلة L، II، U أو O. عادة ما يتم تزويد أحد جدرانها بمشكاة بها رف لوضع الأغراض المهمة، الكتب، وحتى أدوات الزينة... تتم إنارة وتهوية هذه الغرف بواسطة فتحات صغيرة مطلة على وسط الدار، يتراوح عرضها بين 45 و90 سم. في الحالة التي يتضمن فيها المسكن حديقة تتم إنارة الغرف المطلة عليها عن طريق فتحات تكون مرتفعة نوعا ما وكبيرة نسبيا. لا يختلف شكل وأبعاد غرف المسكن العقبي عن الورقلي.

7.2.3. المخزن (بيت المونة):

يقع خلف "Slam" بجوار غرفة الوالدين، يضم أحواض مبنية لتخزين التمور المضغوطة (المحشية) والتي يتم رفعها عن مستوى أرضيته وتزويدها بثقب للتمكن من استخلاص عسل التمر منها. بجوار هذه الأحواض توضع الجرار المخصصة لحفظ الغرس (نوع من أنواع التمور الرطبة). كما يتم تخزين الملح

الصخري الذي يجمع من الشطوط في أكياس كبيرة. على جدران المخزن توجد قضبان خشبية لتعليق اللحوم المراد تجفيفها، كما تستخدم في تعليق عراجن التمر الطازجة. المخزن في المسكن الورقلي هو المكان المخصص لتخزين جميع المستحضرات تم تصبيرها المالحة والحلوة والمراد الاحتفاظ بها لمدة طويلة.

في حين تقع بيت المونى في المسكن العقبي أسفل الدور الثاني للدرج بجوار المطبخ حيث يتم الدخول إليها من خلاله عن طريق باب ضيق. غالبا ما يكون مظلم لعدم احتواءه على أي فتحة، يتم تزويد جدرانه بقضبان معدنية أو خشبية لتعليق عراجن التمر، سلاسل الفلفل الأحمر المعد للتجفيف... عادة ما توضع بهذه الغرفة سدة (مقعد مصنوع من جريد النخيل) لرفع الجرار التي تم بها رص التمر وغيرها. هناك بعض المساكن التي لا توجد بها بيت مونى في الطابق الأرضي، لذا يتم استخدام أحد مخازن الطابق العلوي لتخزين المواد الغذائية.







الصورة 14: يمثل مخازن الطابق العلوي لأحد مساكن بلدة سيدي عقبة. عن: الباحثة.

كما يضم المسكن العقبي العديد من المخازن المخصصة لتخزين وفرز التمور خلال فصل الخريف والتي تشغل الطابق العلوي (**الصورة 14**).

8.2.3. الدرج:

في المسكن الورقلي وعلى امتداد مع "غرفة الجدة" بينما نتقدم نحو وسط الدار يوجد الدرج الداخلي الذي يسمح لساكني المسكن





الصورة 15: يمثل لدرج مأخوذة عن مساكن ببلدة سيدي عقبة. عن: الباحثة.

بالانتقال من المجالات الداخلية السفلية إلى الداخلية العلوية، والذي يعرف محليا بـ"tsunān n ennezz". يضم المسكن بالإضافة إليه درج ثان معروف بـ"tsunān n ā'lli" والذي سبق لنا ذكره ما يسمح للضيوف الرجال من الوصول إلى غرفة الاستقبال العلوية انطلاقا من الشارع، دون أي اتصال بالمجالات الداخلية للمسكن. تتم تغطية كل من الدرجين بقبة "voûte" ويحتوي كلاهما على درجات يتراوح ارتفاعها بين 18سم و24سم.

بينما يوجد الدرج في المسكن العقبي في أحد أركان وسط الدار وبالقرب في أغلب الأحيان من المطبخ. غالبا ما يحتوي المسكن على درج واحد وهو ما يسمح لمستخدميه من الوصول إلى السطح انطلاقا من وسط الدار، غير أن هناك بعض المساكن ذات المساحات الواسعة والتي تضم درجين، مثل دار القاضي، التي تضم درج يؤدي من السقيفة الأولى إلى غرفة علوية يتم فيها استقبال الضيوف من الرجال من ناحية وإلى السطح من ناحية أخرى. أما الدرج الثاني فهو الذي يسمح بالانتقال من وسط الدار إلى السطح. هناك بعض الحالات النادرة التي يربط فيها الدرج السقيفة بالطابق العلوي (**الصورة 15**).

9.2.3. السطح: (**الصورة 16**)

يتكون سطح المسكن التقليدي الورقلي من قسمين، يعرف القسم الأول بـ ."العلي" (ā'lli) والذي يتمتع بنوع من الاستقلالية الوظيفية، حيث نجد ضمن جدرانه المجالات التالية:

-مدخل مباشر من الشارع عن طريق درج خاص، مستقل تماما عن الحركة الداخلية للمسكن مخصص بشكل أساسي للرجال ولاستقبال الضيوف الأجانب من الرجال.

-غرفة ضيوف تطل على الشارع بنافذة متوسطة الحجم يمكن رؤيتها من الشارع تقع فوق باب الدار.

-مرحاض.

-سطح خاص ذو أرضية ملساء.

أما باقي السطح فيرتبط وظيفيا ومجاليا بالمسكن فهو يعتبر السطح العائلي، ويتألف من:

-فتحة وسط الدار والتي تتناسب أبعادها مع حجم المسكن وبالتالي مع مساحة أرضيته.

-السطح.

- الجزء الأملس للسطح.

- غرفة السطح والتي تعمل كمخزن للأسرة، والأفرشة، والسجاد، أو كغرفة نوم للابن وزوجته، وفي بعض الحالات يتم استخدامها لوضع الأفرشة التي يفرش بها السطح طوال ليالي الصيف.



الصورة 16: يمثل السطح في المسكن الصحراوي: **أ.** الورقلي، **ب وت.** بلدة سيدي عقبة. عن: الباحثة.





غالبا ما يتم فصل قسمي السطح بجدار فاصل يضمن استقلالية أفضل، مزود بباب يربط بينهما. كما تتم إحاطة السطح بأكمله بجدار يتراوح ارتفاعه بين 1.7م و2م.

في حين أن المستوى الأول في المسكن العقبي مكون من مخازن مخصصة لتخزين ولفرز التمور خلال فصل الخريف تقع فوق غرف الطابق السفلي، ومن سطح مفتوح يقع فوق وسط الدار مخصص للنوم خلال ليالي الصيف الحارة. في المساكن الواسعة قد يتضمن السطح المجال العلوي للكنيف ومطبخ صيفي مزود بموقد والذي قد يشغل أحد مخازن هذا الطابق.

السطح العالي: (الصورة 17)

قد تتضمن المساكن في قصر ورقلة مستوى ثان أعلى للسطح معروف بالسطح العالي، مخصص للنوم خلال ليالي الصيف الحارة يقع أعلى غرف الضيوف، قد يكون: إما على شكل سطح متعدد المستويات (في الغالب ثلاث مستويات)، أو مستوى واحد مجزأ عن طريق جدران فاصلة تضمن خصوصية أفراد الأسرة. يوفر السطح العالي مكان لتجفيف مختلف المواد الغذائية المراد الاحتفاظ بها لمدة أطول: التمور، والأنواع المختلفة من الحبوب كالقمح، والكسكس، والفلفل الأحمر، وقشر البرتقال والرمان، واللحوم، وجلود







الصورة 17: يمثل السطح العالي بمساكن ببلدة سيدي عقبة. عن: الباحثة.

الحيوانات... كما يستخدم كغرفة استقبال مفتوحة للضيوف من النساء المقربين خلال فترة الظهيرة في فصلي الربيع والخريف. توفر الأسطح المتجاورة للمساكن مكانا للمرور والتنقل من منزل إلى آخر لفئة النساء والأطفال دون الحاجة إلى اتخاذ الشارع.

في حين يشغل السطح العالي في المسكن العقبي المجال الذي توفره أسطح مخازن الطابق الأول، وهو مخصص لنفس الوظائف التي يوفرها السطح العالي للمسكن الورقلي غير أنه يكون ذو مستوى واحد خلافا لما قد نجده في بعض مساكن القصر الورقلي.

4. التركيب المجالي (syntaxe spatiale) كأداة لتحليل المجال المعماري:

تسمح لنا نظرية التركيب المجالي ((syntaxe spatialeبالتعرف من خلال دراسة العلاقة الوطيدة الموجودة بين المستخدمين وبيئتهم المادية والبعد الاجتماعي للمجال على الهيكلة المنهجية التحليلية. وبالتالي، توفير أداة قوية لتحليل التعبير الاجتماعي والثقافي الذي يتجسد في النماذج المجالية للأشكال

المبنية[27]. قام كل من Hillier وHanson بتعريف التركيب المجالي على أنه مجموعة من التقنيات لتمثيل، قياس وتفسير التكوين المجالي للمباني قصد إظهار المنطق الاجتماعي للمجال[28].

يمكن تعريف التكوين المجالي على أنه العلاقات بين المجالات في مجموعة مع الأخذ بعين الاعتبار جميع المجالات الأخرى. يوضح التكوين المجالي كيف يتم التعبير عن العلاقات الاجتماعية في المجال[29].

1.4. وصف التركيبة المجالية للمسكن التقليدي الورقلي والعقبي (descriptif syntaxique):

1.1.4. المسكن التقليدي الورقلي:

يتكون الرسم البياني المبرر لهذا النموذج من 24 عقدة يربطها 22 قوس، ويشير إلى بنية شجرية بست فروع وبمتوسط عمق (profondeur) 3.62م. تعتبر السقيفة بالإضافة إلى الدرج المؤدي للطابق العلوي المجالين الوحيدين الذين يقعان في مستوى عمق رقم 1 فهما المجالان الوحيدان المتصلان بالشارع، حيث يعملان على توزيع الحركة في المسكن إلى اتجاهين منفصلين: المسار المؤدي للمجالات المخصصة لاستقبال الضيوف الأجانب: غرفة الضيوف، والسطح والكنيف العلوي. أما المسار الثاني يؤدي إلى وسط الدار عبر السقيفة مرورا بـ tāhzza والذي يتمثل أساسا في المجالات الأسرية التي تشغلها فئة النساء.

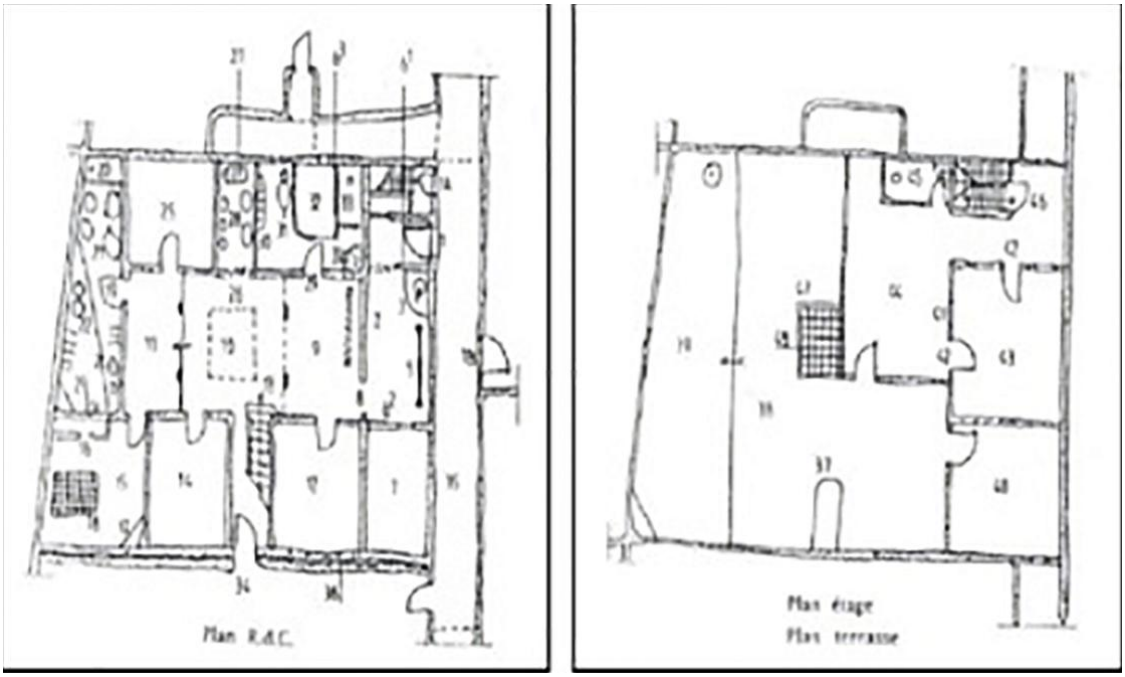
يشغل وسط الدار مستوى عمق رقم 2 وهو يعمل على توفير الوصول إلى المجالات الخاصة للمسكن والمتمثلة في غرف النوم، بيت المونى والدرج بالإضافة إلى مجالات الراحة التي تمثل منشأ لتفرع آخر ثانوي يضم المجالات المخصصة لتربية الحيوانات (**الصورة 18**).

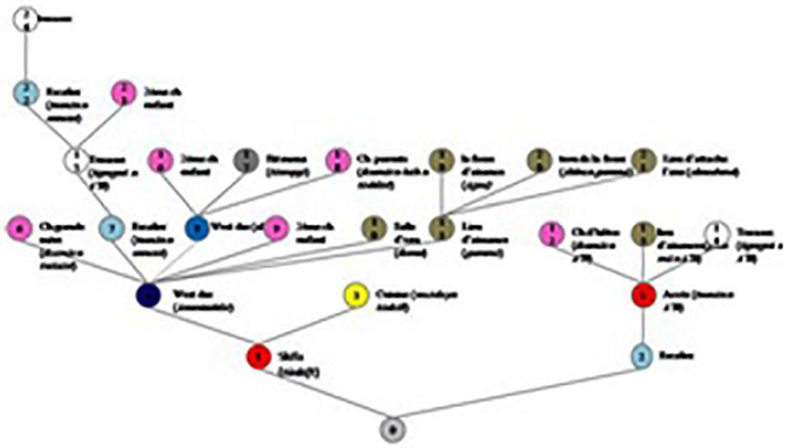
---

[27]- HAMOUDA, A., 2018, pp. 22–30.

[28]- HILLIER, B. ; HANSON, J., 1984.

[29]- HANSON, J., 1998.



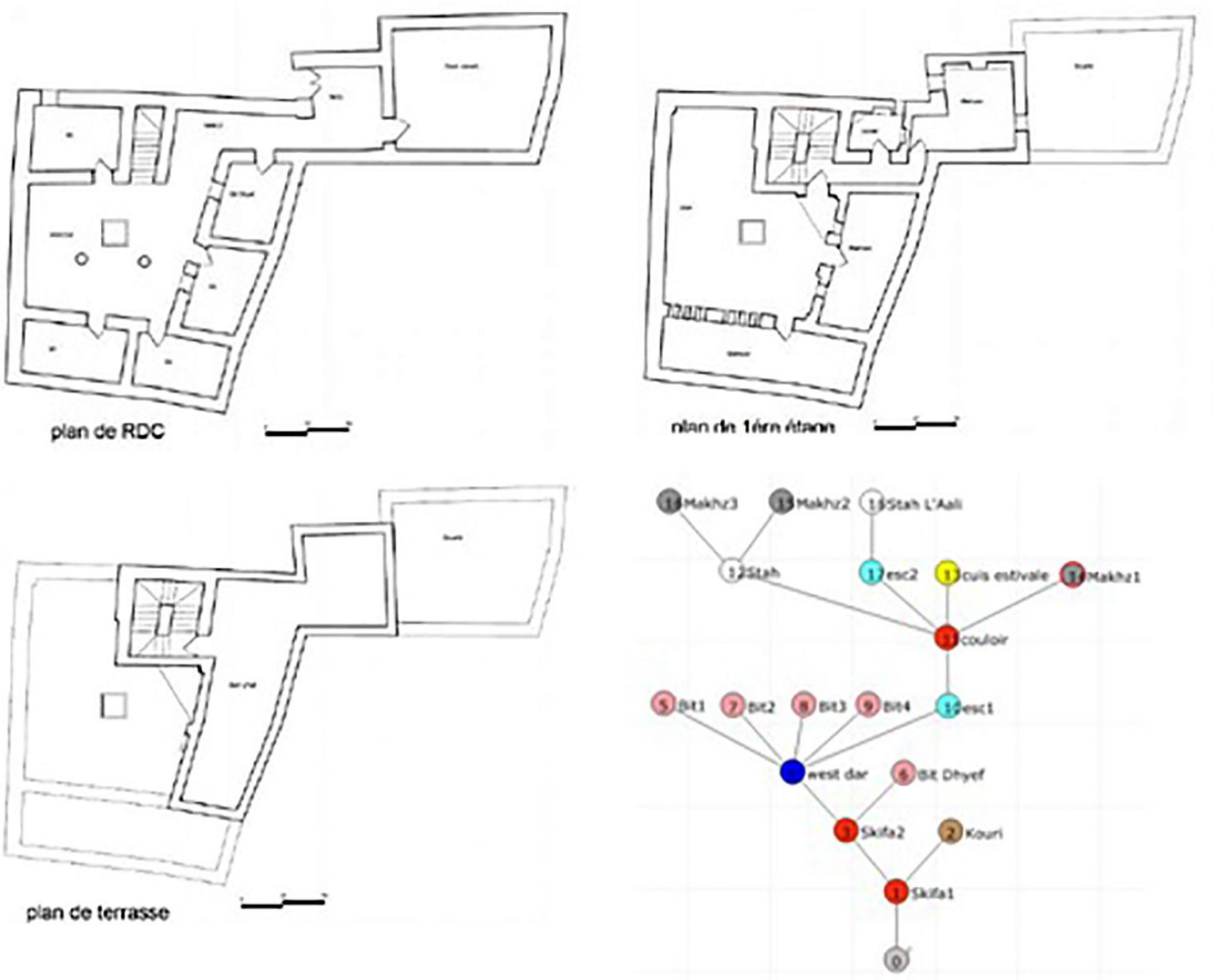


الصورة 18: يمثل مخططات طوابق والرسم البياني المبرر للنموذج الممثل للمسكن التقليدي الورقلي. عن: الباحثة و KADI, Y., 1999.

2.1.4. المسكن التقليدي العقبي:

يتكون هذا الرسم البياني المبرر من 18 عقدة يربطها 17 قوس، ويشير إلى بنية شجرية بثلاث فروع أحدها خارجي وبمتوسط عمق 3.47م. تعتبر السقيفة الأولى المجال الوحيد الذي يقع في مستوى عمق رقم 1 فهي المجال الوحيد المتصل بالشارع، حيث تعمل على توزيع الحركة في المسكن إلى اتجاهين: المسار الذي يؤدي إلى المجالات المخصصة لتربية الحيوانات، والمسار الثاني نحو وسط الدار الممثل للمجالات الأسرية الأنثوية بامتياز.

تمثل المجالات: السقيفة1، السقيفة 2 والكوري التفرع الأول والوحيد الخارجي للشجرة، أما التفرع الثاني لهذا الرسم البياني فهو ذو طابع داخلي ينشأ من العمق 3 والذي يشغله وسط الدار، الذي يعمل على توفير الوصول إلى المجالات الخاصة للمسكن والمتمثلة في الغرف، بيت المونى والدرج الذي يضمن بدوره الوصول إلى الطابق العلوي عبر المرور برواق يشكل في حد ذاته منشأ للتفرع الثالث والذي يتمثل في السطح والمخازن والمطبخ الصيفي (**الصورة 19**).



الصورة 19: يمثل مخططات الطوابق والرسم البياني المبرر لنموذج تمثيلي لمسكن تقليدي ببلدة سيدي عقبة.
عن: الباحثة.

2.4. نتائج التحليل التركيبي المجالي (l'analyse syntaxique):

1.2.4. المسكن التقليدي الورقلي (الجدول1.1)

يبين جدول قيم التركيب المجالي لجميع مجالات هذا النموذج أن وسط الدار هو المجال الأكثر اندماجا والأقل عمقا بقيمة asymétrie relative تساوي 0.09م، في حين أن السطح، المجالات المخصصة للضيافة، غرف الطابق الثاني وبدرجة أقل الكنيف والكوري تعتبر المجالات الأكثر عزلة وعمقا بحدود (RA= 0.25).

هناك تفاوت واضح بين مجالات هذا النظام من حيث قيم عدم التناسق النسبي (asymétrie relative) حيث يمكن ترتيبها من الأقل عمقا والأكثر اندماجا إلى الأكثر عمقا وعزلة إلى: وسط الدار، وslam، والمجال الموزع لمجالات الضيافة (tsunan n a'lli)، وسقيفة، والغرف، والسطح، وغرف الطابق الثاني، والمجالات المخصصة للضيافة، والكوري والكنيف.

بيت الضيافة، والكنيف العلوي والسفلي، والكوري، والسطح العالي، وغرف الطابق العلوي تعتبر المجالات الأكثر عزلة ما يشير إلى عدم نفاذية المنزل التقليدي الورقلي وكذا فصل المجالات الذكورية عن المجالات النسوية والخصوصية والمتمثلة أساسا في وسط الدار وslam والمجالات المحيطة بهما.

في هذا التنظيم المجالي يلاحظ مجالين أساسين مهيكلين له: السقيفة ووسط الدار، كما يمكن اعتبار أن المجال الموزع لمجالات الضيافة في الطابق العلوي وslam الذي يمكن إلحاقه بوسط الدارهم مجالين قاعديين في تركيبة هذا المسكن،حيث تعتبر هي المجالات الأقل عمقا والأكثر اندماجا مقارنتا مع الشارع وباقي المجالات، فهي تلعب دور الربط والفصل بين منطقتين متباينتين من الناحية الوظيفية. ترتبط تقريبا جميع مجالات الطابق الأرضي بوسط الدار باستثناء المطبخ، والدرج المخصص للضيوف خاصة لفئة الرجال، والكوري والكنيف السفلي. تمثل غرف الطابقين المجالات الأقل مراقبة والأكثر حميمية وهي تنتظم حول المجالات الأكثر مراقبة.

2.2.4. المسكن التقليدي العقبي: (الجدول2.1)

من خلال جدول قيم التركيب المجالي (les valeurs syntaxiques) ومن خلال قيم عدم التناسق النسبي (asymétrie relative) يتضح أن وسط الدار هو المجال الأكثر اندماجا والأقل عزلة بقيمة (RA=0.15) في حين أن الكوري هو المجال الأكثر عزلة بـ (RA=0.41). من خلال مقارنة قيم عدم التناسق النسبي وترتيبها يتضح أن: الكوري، وبيت الضياف، والمخازن والسقيفتين تصنف على أنها أكثر المجالات عزلة، ما يدل على الفصل في المسكن التقليدي العقبي بين المجالات الذكورية والمجالات النسوية للحياة اليومية، كما تشير هذه القيم إلى عدم نفاذيته أي أن مجالاته الداخلية المخصصة لفئة النساء منه محمية وتتوفر على درجة عالية من الحميمية.

من خلال هذه النتائج يتضح أن المسكن التقليدي العقبي يتوفر على مجالين رئيسيين مهيكلين: وسط الدار والسقيفة. تعمل السقيفة على الربط والفصل بين منطقتين متباينتين وظيفيا، وهي أقل عمقا مقارنة بالشارع. في حين أن وسط الدار يعتبر أقل عمقا وأكثر اندماجا من السقيفة حيث أن جميع المجالات على اتصال مباشر به باستثناء الشارع، وبيت الضياف والسطح بمخازنه.

للغرف ولبيت المونى نفس القيم الاندماج (intégration) والمراقبة (contrôle "أقل مراقبة") كونها تنتظم حول وسط الدار الذي يعتبر المجال الأكثر تحكما ومراقبة للحركة داخل المسكن بقيمة cv=4.83.

المجال	asymétrie relative RA	contrôle cv	التمثيل
وسط الدار	0.09 الأكثر اندماجا و الأقل عزلة	8.33 الأكثر مراقبة.	يعتبر بالاضافة إلى slam و المجال الموزع لغرف الضيافة في الطابق العلوي كونهم المجالات الأكثر مراقبة.
السقيفة	0.12 معزولة	0.30 مراقبة ضعيفة	نتيجة فصل منخل الضيافة عن المنخل العائلي فالسقيفة تليها درجة أقل من المراقبة مقارنة مع نظيرتها في المسكن العقبي.
المخازن	0.13 معزولة	0.30 مراقبة ضعيفة	
بيت الضياف	0.13 معزولة	0.30 مراقبة ضعيفة	
الكوري	0.41 معزولة	0.30 مراقبة ضعيفة	
السطح العالي	0.15 الأكثر اندماجا و الأقل عزلة	4.83 الأكثر مراقبة.	كونه يضم أهم الأنشطة اليومية، الأكثر مراقبة لأنه يضمن الحركة لجميع باقي المجالات.
السطح السفلي	0.30 معزولة	2.33 مراقبة متوسطة	كونها تعمل على توزيع الحركة في اتجاهين مختلفين: المجالات الذكورية (كوري و بيت ضياف) و النسوية (وسط الدار).

المجال	asymétrie relative RA	contrôle cv	التمثيل
وسط الدار	0.15 الأكثر اندماجا و الأقل عزلة.	4.83 الأكثر مراقبة.	كونه يضم أهم الأنشطة اليومية، الأكثر مراقبة لأنه يضمن الحركة لجميع باقي المجالات.
السقيفة	0.30 معزولة	2.33 مراقبة متوسطة	كونها تعمل على توزيع الحركة في اتجاهين مختلفين: المجالات الذكورية (كوري و بيت ضياف) و النسوية (وسط الدار).
المخازن	0.30 معزولة	0.30 مراقبة ضعيفة	
بيت الضياف	0.30 معزولة	0.30 مراقبة ضعيفة	
الكوري	0.41 معزولة	0.30 مراقبة ضعيفة	
السطح العالي	0.30 معزولة	0.30 مراقبة ضعيفة	
الطابق العلوي	0.30 معزولة	0.30 مراقبة ضعيفة	

5. الخاتمة

يشترك كل من المسكن التقليدي العقبي والورقلي في كون أن عملية الولوج إليهما تمر عبر مجال مرشح وهو عبارة عن ممر متعرج يشكل حاجر ساتر يمنع استراق النظر لما يحدث داخل المسكن. غير أن المسكن التقليدي العقبي يتميز بتعدد هذا المجال (أكثر من سقيفة) وذلك حسب مساحة الأرضية التي شيد عليها. يشترك هذا المجال من الناحية الوظيفية في كلا النموذجين في كونه مجال للجلوس والاستقبالات السريعة الضيوف، وللقيلولة خلال أيام الصيف الحارة... غير أنهما يختلفان من ناحية توزيع الحركة.

تنتظم جميع مجالات الطابق السفلي في كلا المسكنين حول وسط الدار، غير أن هذا الأخير قد تم تقسيمه من الناحية الوظيفية في المسكن الورقلي إلى ثلاث أقسام: tahzza، وammisddar وslam تتم إضاءته بنفس الطريقة في النموذجين الورقلي والعقبي.

يشترك النموذجين في مبدأ الفصل بين المجالات النسوية والذكورية، غير أن الفصل يعتبر أفقي في النموذج العقبي حيث في الأغلب تشغل غرفة الضيافة واحدة من المجالات الأمامية للمسكن حيث يتم الولوج إليها من السقيفة أو قد يتم بناءها في الجنان في الحالات التي يضم فيها المسكن جنان أمامي أو خلفي. في حين أن هذا الفصل هو عمودي في النموذج الورقلي حيث تشغل مجالات الضيافة الطابق العلوي ويتم الولوج إليها مباشرة من الشارع. كما ينطبق هذا الأمر على الكوري والكنيف: يشكل الكوري في النموذج العقبي واحد من المجالات الأمامية للمسكن وقد يحظى بمدخل مباشر على الشارع ومدخل ثان على السقيفة، أما في النموذج الورقلي فيشكل واحد من المجالات التي يتم الدخول إليها عبر وسط الدار في اتصال مباشر بين الإنسان والحيوان.

يشترك النموذجان في فكرتين أساسيتين تم على أساسهما تنظيم المجالات على طابقين: الأولى مرتبطة باستغلال المجالات حسب الفصول وهو ما يؤكد تأثير المناخ على تصميم المسكن التقليدي

الصحراوي، والثانية متعلقة باستغلال المجالات حسب أفراد الأسرة وهو ما يؤكد الأخذ بعين الاعتبار القيم الاجتماعية والثقافية القائمة على فصل المجالات الذكورية عن النسوية.

البيبليوغرافيا:

1. أبو سالم العياشي، حققها سعيد الفاضلي وسليمان القريشي، 2006م، الرحلة العياشية 1661م-1663م، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، المجلد الأول، الطبعة الأولى.
2. بلكحل عز الدين وآخرون، 2003م، "نشأة بلدة سيدي عقبة بالجزائر ومراحل تعميرها الأولى"، المدينة العربية، 113، مارس-أفريل.
3. بوجراف، بلال؛ خليفة، عبد القادر، 2018م، "عمرانية قصر ورقلة العتيق الماضي والراهن"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 33، مارس، ص ص. 173-186.
4. الورثيلاني، 1974م، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المعروفة بالرحلة الورثيلانية، دار الكتاب العربي، بيروت.

5. AL-BAKRI, 1889, « Lisstibsar », in Recueil de la société archéologique de Constantine.
6. AMEUR DJERADI, M., 2012-2013, « L'architecture ksourienne (Algérie) entre signes et signifiants », in L'architecture vernaculaire, 36-37.
7. BARON DE SLANE, 1978, Ibn Khaldoun, Histoire des Berbères, Libraire orientaliste, Paris.
8. BOUCHEMAL, M. ; CHAOUCHE, S., 2015, « La patrimonialisation d'un site suffit-elle à sauvegarder un lieu historique ? Cas du Ksar de Ouargla », in HAL, Ouargla, Algérie.
9. COTE, M., 2012, Signatures sahariennes, terroirs et territoires vus du ciel, Aix-Marseille.
10. HAMMOUDI, A., 2014, Le patrimoine ksourien, mutation et devenir. Le cas du Zab El Gherbi-Tolga, Mémoire de Magister, Université de Biskra.
11. HAMOUDA, A., 2018, « Syntaxe spatiale comme outil d'analyse de l'espace architectural », in International journal of innovative technical and applied sciences, 12, pp. 22–30.
12. HANSON, J., 1998, Decoding homes and houses, Cambridge University press, UK.
13. HAOUI BENSAADA, S., 2010, « Contribution à la connaissance et à la préservation des architectures ksouriennes. Cas : le Touât Gourara (Sud Ouest de l'Algérie)», in Congrès International WOCMES, Barcelone.
14. HILLIER, B. ; HANSON, J., 1984, The social logic of space, Cambridge University press, UK.

15. KADI, Y., 1999, La maison qsourienne ouarglie, Institut de recherches et d'études sur les mondes arabes et musulmans, pp. 49-74.

16. MANSOURI, M., 2016-2017, Monographie urbaine et architecturale de l'ancien noyau de Sidi Okba, mémoire de magistère non publié, Université de Biskra.

17. MARÇAIS, G., 1957, « LE TOMBEAU DE SIDI OQBA », in mélange d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman, 2, Alger, pp. 151-159.

18. RAYANE KADRI, S. **;** CHAOUCHE, S. ; BENAMEUR**,** A. H., 2016, « Quelles formes de réhabilitation pour le ksar d'Ouargla ? Des objectifs urbains, patrimoniaux et sociaux », in Les cahiers du Crasc, 32, pp. 131-152.

19. SAAD SAOUD, W., 2013, La société saharienne entre l'intérêt de l'habitat collectif et l'appartenance au traditionnel. « CAS DE OUARGLA », UNIVERSITÉ -EL HADJ LAKHDAR- BATNA.

20. SIMON, H., 1909, « Notes sur le mausolée de Sidi Ocba », in revue Africaine, 53, pp. 26-45.